علم الجمال ومفهومه عند هيجل

Alaa Aldeen AL KARAZ* / علاء الدين الكرز

الملخص:
إنَّ علم الجمال علم فلسفي يمتلك مفاهيمه الخاصة التي تنعكس فيها العلاقات والصفات الجمالية للواقع والفن والمبادئ العامة للإبداع والاستيعاب الفني على شكل قوانين ومبادئ شاملة.
وموضوع الجمال وطبيعته أثار خلاف المفكرين فمنهم من يرى أن الجمال مستقل قائم بحد ذاته ولا يتأثر بالمزاج الشخصي، وأن للأشياء الجميلة خصوصيات مستقلة كلياً عن العقل الذي يدركها، فالجميل جميل سواء توفر من يتذوق هذا الجمال أم لا، ومنهم من يرى أنَّ الجمال ليس سوى ظاهرة نفسية ذاتية وإن الشيء يكون جميلاً عندما نراه بعين احترفت الرؤية،كهيجل(Hegel) الذي تناول مفهوم الجمال من خلال فلسفة مثالية موضوعية جدلية.
الكلمات المفتاحيّة: الجمال، الجميل، الفن، مفهوم، هيجل.

HEGEL'E GÖRE ESTETIK KAVRAMI

Özet

Estetik: Özgünlük, genel kurallar ve ilkeler biçimindeki sanatsal anlayıştan dolayı, kendisinde, hakikate, sanata ve genel ilkelere ait, güzellik ilişkilerinin ve niteliklerinin ifadesini bulduğu, özgün kavramlara sahip felsefî bir bilimdir.

Güzelliğin konusu ve tabiî yapısı, düşünürler arasında tartışmaya sebep oldu. Düşünürler arasında, güzelliğin aslında, bağımsız ve tek başına olduğu, onun kişisel yapıdan etkilenmediği, güzel şeylerin, kendilerini idrak eden akıldan tamamen bağımsız özelliklerinin olduğu, bu güzellikten zevk alanlar olsun, olmasın, güzel güzeldir görüşünde olanlar vardır.

Bazıları da şu görüştedir: Güzellik ancak, psikolojik ve sübjektif bir olgudur. Güzellik kavramını, idealist, objektif ve tartışmacı felsefeye göre ele alan Hegel gibi, bir şey, görmeyi meslek olarak yapan bir gözle gördüğümüzde güzel olur.

Anahtar Kelimeler: Güzellik, Güzel, Sanat, Kavram, Hegel.

* Öğr. Gör., KTO Karatay Üniversitesi Yabancı Diller Yüksek Okulu Arapça Mütercim Tercümanlık Bölümü, Konya, alaa.alkaraz@gmail.com, ORCID, 0000-0003-0475-8911

CONCEPT OF AESTHETICS ACCORDING TO HEGEL

Abstract

Aesthetics is a philosophical science that contains its own concepts in which the relationships and aesthetic features of reality such as art and common principles of creativity and artistic comprehension are reflected in the form of extensive laws and principles. The nature and classification of beauty have been an ongoing debate among scholars. However, some of these scholars assume that beauty is not influenced by personal mood and therefore, it is independent, unaffected by the mind that perceives them regarding beautiful ideas so the beauty would stay beauty even though people may not appreciate this beauty. On the other hand, other scholars present that beauty is individual psychological phenomenon and things are getting to be beautiful when it comes from individual vision experience and according to Hegel, who produce the theory of beauty throughout philosophy of controversial objectivity.

Keywords: beautiful, beauty, art, principle, Hegel.

مقدمة

تتنوع الإحساسات البشرية الداخلية، وبناء على تنوعها تتغير وتتباين نتائج النظر إلى الأمور، ولما كان كلّ شيء في الوجود يعبّر عن قطعة جمالية بذاتها كان لابدّ من الوقوف بتأمّل وورود حوض فلسفة الجمال لنشرب من معينها، يقودنا في ذلك مسكةٌ من تذوق جماليّ ذاتي، ومرتكزات من متابعات قديمة وقوّاد علمية تعتبر مدار البحث ومركز استنكاه الحقائق، ولما كان الجمال إحدى الأثافي الثلاثة التي قامت عليها منظومة القيم الخالدة وهي: الحق والخير والجمال، فإننا نستطيع أن نقول إن الإنسان يميل بطبعه إلى الجمال، فما هو الجمال؟ وما مفهومه؟ وما هو علم الجمال وما هي اتجاهاته؟ ومن هم أعلامه؟ وما أهمية هذا العلم؟ وما الغاية من دراسته؟ وما هي موضوعاته؟ وميادينه؟ ومناهجه؟ وما هي مهمته؟ وهل هناك فرق بين القيم الجمالية والمقولات الجمالية والتجربة الجمالية؟ وما مفهوم الجمال عند هيجل(Hegel)؟

كلّ هذا سأحاول الإجابة عنه بشكل دقيق ومركّز في بحثي هذا راجياً التوفيق من الله تعالى.

مخطط البحث:

المقدمة

عرض الموضوع

علم الجمال: تعريفه، نشأته، تطوره

اتجاهات علم الجمال وأنصار كل اتجاه

أهمية علم الجمال

الغاية من دراسة علم الجمال

موضوعات علم الجمال

ميادين الدراسة في علم الجمال ونظرياته

مهمة علم الجمال

مناهج علم الجمال

أعلام علم الجمال

المفاهيم الجمالية

القيم الجمالية

التجربة الجمالية

مفهوم الجمال عند هيجل

الخاتمة

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

علم الجمال: تعريفه، نشأته، وتطوره:

علم الجمال:

حسب معجم لالاند: هو علم الأحكام التقويمية التي تميز بين الجميل والقبيح، وإن لفظ الأستيطقا (علم الجمال) يعود في أصله إلى اليوناينة، فهو مشتق من نظرية (AISTHESIS) التي تعني الإحساس، وأول من دعا إلى إيجاد هذا العلم وجعل لفظ الاستيطقا كاسم لعلم الجمال هو ألكسندر بومجارتن (Alexander Baumgarten) حين صدر كتابه الذي أسماه (الاستيطقا- Aesthetic) في جزأين عام 1750، وعام 1780، وكان يقصد به علم الجمال في الطبيعة وعلم الفن، ورغم أن إرهاصات هذا العلم وجدت منذ أن وجد الإنسان وقد تأثر عند ظهوره علماً بالمذاهب والاتجاهات الفكرية التي كانت سائدة آنذاك، مثل الفلسفة والتحليل النفسي وعلم الاجتماع والاتجاه التاريخي.[1]

ولم يلبث أن انتشر في بقية أنحاء أوروبا ولاسيما في بريطانيا وانتقل بعد ذلك إلى الشرق.

وإذا أردنا أن نعرّف علم الجمال فذلك أمر ليس سهلاً نظراً لاختلاف المفكرين والفلاسفة فيه، ونظراً لاختلاف الأذواق والميول، فكل مفكّر وباحث عرّف هذا العلم اعتماداً على مشاربه الفلسفية ومذاهبه الفكرية فمنهم من عرّف علم الجمال اعتماداً على المعنى الحرفي لكلمة استيطقا، ومنهم من عرّفه اعتماداً على مفهوم الجمال والقيمة الجمالية، وآخرون اعتماداً على مفهوم الفن.

وهناك ثلاثة اتجاهات في تعريف علم الجمال:

1. اتجاه يعتبر علم الجمال مجرد دراسة للمفاهيم والمصطلحات الجمالية، وفي هذا الصدد يقول عالم الجمال الفرنسي فلدمان(Feldman): علم الجمال هو بحث في أحكام الناس الجمالية.

2. اتجاه يعتبر علم الجمال دراسة للصورة الفنية، وفي هذا الصدد يقول عالم الجمال الفرنسي سوريو (Souriau): "إن غاية علم الجمال هي الوقوف على المقولات الأساسية أو المبادئ الصورية الجوهرية الثابتة التي تنظم وفقاً لها شتى المظاهر الجمالية لهذا الكون المنظم.

3. والاتجاه الثالث: يربط الاتجاهين الأول والثاني بالإنسان، حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الفن إنتاج إنساني والتذوق بُعد إنساني، والحكم حكم إنساني، والصور الفنية نتاج إنساني، وهذا الرأي قاله هيجل في محاضراته التي جمعت ونشرت بعد وفاته تحت عنوان (محاضرات حول فلسفة الفن الجميل) الذي استبعد فيه جمال الطبيعة وجعله منظوراً إنسانياً بحتاً[2]، فقال: "إن علم الجمال هو فلسفة الفن الجميل، إنه فلسفة للوعي الجمالي، وفلسفة للقدرة على الإبداع الأكثر صدقاً وجمالاً، فلسفة للتذوق الأكثر قدرة على الاستيعاب".[3]

وهناك تيارين رئيسين على مدى تطور علم الجمال:

1المعزوز، محمد، علم الجمال في الفكر العربي القديم، 2003، ط1، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ص132.

[2]الديدي، عبد الفتاح، علم الجمال، 1981، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، القاهرة، ص281.

[3]مجاهد، عبد المنعم، دراسات في علم الجمال، 1980، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص 21.

1- التيار الأول: يدرس المشكلات الجمالية بمعزل عن الإنسان، والتيار الآخر يدرسها في علاقتها بالإنسان.

وتاريخ علم الجمال كان عبر مساره يراوح بين هذين الاتجاهين، ولكن الأمر الذي لا اختلاف فيه هو أنه لا يمكن تطور علم الجمال بلا فن، وكذلك لا يمكن تصور الفن دون جمال.

ويمكن أن يقال من باب التجاوز إن الجمال ظهر كفلسفة أو كموضوع فلسفي عند اليونان، ولم يتحول إلى علم مستقل قائم بذاته، إلا على يد (بومجارتن) في القرن الثامن عشر.[1]

وفيما يتعلق بمصطلح الاستيطيقا (Aesthetic) ويعني علم الجمال، فقد تتبعه عز الدين إسماعيل في كتابه (الأسس الجمالية في النقد العربي) فقال: "إن معناها في البداية كان علم المدركات الحسية، ثم تطور إلى علم المعرفة الحسية، ثم إلى علم المعرفة الحسية الغامضة، وأخيراً إلى علم الجميل أو علم الجمال".[2]

ولم يستقر علم الجمال وتعريفه بعد لأن أمر الجمال نفسه لم يستقر فكان كل فيلسوف ومفكر وناقد له نظرية للجمال ينطلق فيها من بيئته وخلفيته الثقافية.

وإذا أردنا تعريفاً شاملاً لعلم الجمال فيمكننا القول بأنه: العلم الذي يأخذ على عاتقه القيام باختبار نقدي لاعتقاداتنا المتعلقة بالأمور الآتية: ما طبيعة الفن الجميل؟ وما الذي يميز الفنان المبدع من غير الفنان؟ وأي نوع من التجربة يعد (تذوق) الفن؟ ولماذا كانت هذه تجربة قيمة؟ وهل يمكننا أن نبت في الخلاف حول الفن؟ وما الذي يعنيه القول إن شخصاً معيناً له (ذوق سليم) أو (ذوق أفضل) من شخص آخر؟ هل تعني هذه العبارة أي شيء على الإطلاق؟ وما وظيفة الناقد؟ وهل للرقابة على الفن أي مبرر؟ وإن كان لها مثل هذا المبرر ففي أي الظروف؟ وما أهمية الفن في التجربة البشرية؟[3]

كما أنه علم فلسفي وجزء مكون من أجزاء الفلسفة، وهو علم يمتلك جهازه المفهومي ومنظومة مفاهيمه الخاصة التي تنعكس فيها على شكل قوانين ومبادئ شاملة العلاقات والصفات الجمالية للواقع والفن والمبادئ العامة للإبداع والاستيعاب الفني، وكذلك قوانين أداء القيم الجمالية لوظائفها في المجتمع.[4]

اتجاهات علم الجمال وأنصار كل اتجاه:

إن تعدد الآراء والمذاهب الفلسفية أوجب تصنيف هذه الرؤى الجمالية؛ لأن البعض لاحظوا استحالة وجود قاعدة عامة تحدد بواسطتها المقاييس لما هو جميل، وإن من العبث إيجاد مبدأ ذوقي يعطينا مقياساً عاماً للجمال، لذلك فإن موضوع الجمال وطبيعته أثار خلاف المفكرين الذين انقسموا إلى اتجاهين:

1- الاتجاه الذاتي: وسمّوا بأنصار المذهب الذاتي لعلم الجمال.

---

[1] المصدر السابق نفسه.

[2] إسماعيل، عز الدين، الأسس الجمالية في النقد الغربي (عرض وتفسير ومقارنة)، 1974، ط3، دار الفكر العربي، ص 14 – 29.

[3] ستولنيتز، جيروم، النقد الفني (دراسة جمالية وفلسفية)، 1981م، ط2، ترجمة: فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص7.

[4] مرعي، فؤاد، الجمال والجلال، دراسة في المقولات الجمالية،1991م، دار طلاس، دمشق، ص 13.

ومن أبرز رواده كانط (Kant) الذي اعتبر أن الحكم على الجمال حكم ذاتي ويتغير من شخص لآخر معتبراً مصدر الشعور بالجمال هو فنياً في مزاج الرُوح وليس في الطبيعة، وإن جمال الشيء لا علاقة له بطبيعة الشيء وإن المحاكمة الجمالية تنبع من الاندماج الحر للفكرة وقوة الخيال.[1]

ــ فأنصار هذا المذهب ينكرون الجمال المستقل للأشياء وللطبيعة، ويعتقدون أن الجمال الوحيد لا يوجد إلا فينا وبنا ومن أجلنا، ويرجعون جمال الأشياء إلى الطريقة التي نتصورها في فكرنا، فالجمال ليس سوى ظاهرة نفسية ذاتية وإن الشيء يكون جميلاً عندما نراه بعين احترفت الرؤية.

ومن علماء هذا الاتجاه:

هيجل (Hegel): "إن الجمال في الطبيعة لا يظهر إلا كانعكاس للجمال الذهني".[2]

2- الاتجاه الموضوعي: وسمّوا بأنصار المذهب الموضوعي لعلم الجمال.

حيث قام أنصار هذا المذهب بنقض جميع آراء الذاتيين لأنها لا تتعلق مع المبادئ الأفلاطونية للجمال حسب وجهة نظرهم، فالذاتيين أهملوا وجود العنصر أو العامل الموضوعي الذي هو موجود في جميع الأشياء الجميلة ومشترك بينها، ويظل موجوداً ومشتركاً سواء كان هناك من يقدر هذه الأشياء أم لا.[3]

حيث يعتبر أنصار هذا المذهب أن الجمال مستقل قائم بحد ذاته وموجود خارج النفس وهي ظاهرة موضوعية مما يؤكد تحرر مفهوم الجمال من التأثر بالمزاج الشخصي، وأن للأشياء الجميلة خصوصيات مستقلة كلياً عن العقل الذي يدركها، فالجميل جميل سواء توفر من يتذوق هذا الجمال أو لم يوجد.

ومن علماء هذا الاتجاه ديموقراط (Dimuqrat): "للجمال أساساً موضوعياً في العالم".[4]

أهمية علم الجمال:

ــ إنّ لعلم الجمال أهميته العملية في ميدان النشاط الفني الجمالي للناس من خلال دراسته لأكثر قوانين الفن شمولاً، وتحديده لمكانة الفن في نظام الحضارة الإنسانية، ومساعدته على فهم آلية تأثير الفن عاطفياً وفكرياً في الإنسان، وبنائه الأساس المنهجي لنظرية الفن ونظرية الأدب والنقد الفني.[5]

الغاية من دراسة علم الجمال:

ــ إن علم الجمال والدراسات غير الفلسفية للفن يكمل كل منهما الآخر، فعلم الجمال ليس بديلاً عن أبحاث علم النفس وعلم الاجتماع وغيرهما من الميادين، ولابدّ له من أن ينظم نتائجها ويرتبها حتى يصل إلى اعتقادات سليمة عن الفن.

---

[1] بدوي، عبد الرحمن، فلسفة الفن والجمال عند هيجل، 1996م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 45.

[2] المصدر السابق: ص 45.

[3] شلق، علي، الفن والجمال، 1402ه- 1982م، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع الجامعي، ص 18.

[4] دراسات في علم الجمال: ص155

[5] الجمال والجلال، دراسة في المقولات الجمالية: ص 8.

كما أن الدراسات غير الفلسفية تستطيع الانتفاع من هذه الاعتقادات في توجيه أبحاثها.[1]

موضوعات علم الجمال:

إنّ الموضوع الأساسي لعلم الجمال هو دراسة الجمال في أعمال الفن الجميل[2]، ولكن بومجارتن أضاف إلى ذلك دراسة تكوين الذوق وطبيعة الانفعال والاهتمام بتحليل منطق الفن متمثلاً في طبيعة الخيال الفني.[3]

وجاء (كانط) بعده فأثار من المشكلات الجمالية ما لم يكن للفلاسفة به عهد، مثل مشكلة الحكم الجمالي، ومشكلة صلة الشكل بالمضمون في العمل الفني، ومشكلة علاقة الفن بالطبيعة، ومشكلة تصنيف الفنون، ومشكلة الصلة بين الجميل والجلال.

ثم اتسع نطاق هذه الموضوعات في القرن العشرين بتأثير النظريات الفلسفية، فلم يكتفِ الباحثون في فلسفة الفن بإعادة النظر إلى المفاهيم التي درج علماء الجمال على استخدام مثل مفهوم (التعبير)، ومفهوم (الصورة)، ومفهوم (الحدس)، ومفهوم (الرمزية)،... بل حاولوا أيضاً ربط (فلسفة الفن) بمباحث أخرى مهمة مثل مبحث اللغويات العامة.[4]

على أننا نستطيع أن نرجع الموضوعات التي تناولتها كتب علم الجمال إلى أصلين رئيسين أحدهما يتعلق بالموضوع الجمالي والثاني يتعلق بالفنان.

أما ما يتعلق بالموضوع الجمالي فلا نجد كتاباً تناول كل ما يتعلق به، وإنما تناول كل كاتب جانباً من الجوانب ولعل أهم الفقرات هي:

- معنى الجمال، الجمال المحرر.
- هل الجمال هو ذات الشيء الجميل أو هو المشاعر.
- جمال الطبيعة وجمال الفن.
- الشكل والمضمون.
- أسس الجمال وضوابطه... التناظم والتناسق.
- مهمة الفن إيقاظ المشاعر، تهذيب الأخلاق.
- التصور الموضوعي للفن.
- الفكرة.
- خصائص اللغة الفنية، اللذة الجمالية واللذة الحسية، تصنيف الفنون الجميلة.
- علوم جمالية جديدة.. علم الجمال الاجتماعي.. علم الجمال الصناعي.
- وظيفة الفن.. ترفيهية، مثالية، تطهيرية.

---

[1] النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية: ص 18.
[2] عبده، مصطفى، فلسفة الجمال، 1999، ط2، مكتبة مدبولي، ص 111.
[3] الديدي، عبد الفتاح، علم الجمال، ص 39.
[4] برجاوي، عبد الرؤوف، فصول في علم الجمال، دار الآفاق، لبنان، بيروت، ص 8.

وأما ما يتعلق بالفنان مما تناولته كتب علم الجمال: شخصية الفنان وأثرها وضرورة الاهتمام بها.
أيضا: العبقرية والإلهام، الخيال والواقع، الإبداع وكيفية حدوثه، التقليد والمحاكاة للطبيعة، الأسلوب، الطريقة، الأصالة، الموهبة، الذوق، الذكاء، الخبرة الجمالية في التذوق، والنقد والعمل الفني، علاقة الفنان بالمجتمع، مهمة الفنان، الالتزام، الفن الموجه، المدارس الفنية.
وهناك إضافة إلى ما سبق موضوعات تتعلق بالمشاهد (المتأمل) ومدى خبرته الفنية ومشاركته الفنان نظرته..[1]
كما أن علم الجمال يدرس مظاهر البداية الجمالية في الطبيعة وفي الواقع الاجتماعي للإنسان، كما يدرس قوانين نشوء الوعي الجمالي وتطوره وأداءه لوظائفه، والقوانين العامة للإبداع الفني وتطور الفن بوصفه التعبير الأكمل عن طبيعة الفن.[2]
ذلك سرد لأهم الموضوعات.. ومن خلالها يتبين لنا أن كثيراً من العناصر حشرت وأضيفت إلى هذا الفن لمجرد شبهة العلاقة كموضوع الإبداع وكيفية حدوثه، والإلهام والعبقرية كما أن موضوع الفن طغى طغياناً تاماً على (الجمال) فتحول الحديث إلى الفن وتُرك الجمال وشأنه.

ميادين الدراسة في علم الجمال ونظرياته:

ــ لدينا ثلاثة ألفاظ رئيسية عندما نتحدث عن الفن والاستمتاع به (الفن والاستطيقى والجمال)، والتي تعد نظريات أساسية لعلم الجمال.
وكل من هذه الألفاظ يشير إلى إنتاج موضوعات أو خلقها عن طريق نوع من الجهد البشري.
لفظ (الجمال) يشير إلى جاذبية الأشياء أو قيمتها.
أما (الاستطيقى) فهو أقل هذه الألفاظ شيوعاً، وعندما يستخدم يحتفظ في كثير من الأحيان بمعنى اللفظ اليوناني الذي اشتقت منه (Aisthesis).[3]
أما لفظ (الفن) فدراسته تختلف كل الاختلاف عن دراسة الجمال، فإذا شئنا أن نعرف ما الذي يجعل الشيء جميلاً فلا يمكننا أن نقتصر على الأعمال الفنية وإنما علينا أن نبحث فيما نعنيه بالجميل عندما نصف به مناظر وحوادث في الطبيعة.
فالجميل له في ذاته معنى أكثر تحدداً من أن يصف جميع الموضوعات الفنية منها وغير الفنية التي نجدها ذات قيمة.
أما إذا انتقلنا لعلاقة الاستطيقى بالفن والجمال فنرى أنّ الاستطيقى يدل على الرؤية أو الإدراك ويميز هذا الإدراك لموضوع ما من أجل ما فيه من طرافة أو أهمية كامنة فيه، فليس في وسعنا أن نقدر القيمة التي يملكها عمل فني في ذاته إلا إذا أدركناه بطريقة استطيقية، أما إذا كان اهتمامنا بالعمل لا يرجع إلى كونه أداة لتحقيق هدف آخر معين فإنا لا نستطيع أن نتذوقه بوصفه مجرد قصة أو لوحة، فعندما نتحدث عن تذوق الفن أو الاستمتاع به فإن ما نعنيه هو القيمة الكامنة أو الاستطيقية للفن ولا يكون في وسعنا أن نفهم هذه القيمة التي هي أهم أنواع القيم في الفن إلا حين نفهم الإدراك الاستطيقي الذي يطلعنا عليها، وعندما يتم لنا ذلك يصبح في إمكاننا أن نتجنب الخلط بين قيمة موضوع فني عندما يستمتع به في ذاته، وبين القيمة التي قد تكون له

---

[1] دراسات في علم الجمال: ص 21، فصول في علم الجمال: ص 77.
[2] الجمال والجلال، دراسة في المقولات الجمالية: ص 13.
[3] النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية: ص 29.

لأغراض أخرى، فموضوعات الإدراك الاستطيقي ليست هي الموضوعات الفنية وحدها، وبالتالي فإن الموضوعات التي تدرك بطريقة استطيقية ليس كلها جميلة بل قد تكون لطيفة أو هزلية أو جليلة.

وهكذا يتضح أن مفهوم الاستطيقي هو أوسع المفاهيم الثلاثة (الفن والجمال والاستطيقى)؛ لأن الموضوعات التي ندركها لطرافتها الكامنة أي الموضوعات الاستطيقية تشتمل على أعمال فنية وعلى موضوعات طبيعية معاً، أي على ما هو جميل وما له قيمة بالنسبة إلى الإدراك الاستطيقي على أنحاء أخرى.[1]

مهمة علم الجمال:

تتمثل مهمة علم الجمال في دراسة علاقة الإنسان الجمالية بالعالم الواقعي الذي يحيط به، كما يبحث في العلاقات الموجودة في المجتمع بين أشكال تجلّي النشاط الجمالي والمجال المخصّص لهذا النشاط ألا وهو الفن، إن النشاط الجمالي والعلاقات الجمالية بالواقع أمران يخصّان الإنسان وحده، وقد تنشأ نتيجة للتطور الاجتماعي التاريخي، ومن البديهي أن القوانين التي تتحكم في الوعي الاجتماعي عموماً نافذة المفعول تماماً في مجال الوعي الجمالي، غير أن لهذا الوعي خصائصه، وعلى علم الجمال أن يكتشف هذه الخصائص ويدرسها وإن القوانين العامّة تؤثر في هذا المجال على نحو خاص، لذلك يخطئ المرء إذا ما حصر موضوعات علم الجمال في الموضوعات والقوانين الفلسفية العامة وعدّها تجسيداً لهذه القوانين والموضوعات في المجال الجمالي إذ يضع في هذه الحالة كل غنى علم الجمال وكل تعقيد المادة المفروضة للدرس خاصة الفن.[2]

مناهج علم الجمال:

هناك اتجاهين في المناهج الاستطيقية وهما:

1- الاتجاه التجريبي: فالتجريبيون يرجعون كل حالاتنا الواعية إلى الإحساس، ويفهمون الجمال على أنه إحساس مُرضٍ، فهم يرون أن الجميل يقوم فينا لا في الأشياء، وهو يسير وفق قوانين الترابط العامة، وقد تبنى هذا المبدأ ونماه في إنجلترا هتسون (Histone) (1694 – 1747)، وهوم (Hume) (1656 – 1782)، وبرك (Burke) (1730 – 1797).

وفي فرنسا: ديدرو (Diderot) (1713 – 1784).

فكل هؤلاء الفلاسفة ذهبوا إلى القول بوجود حاسة خاصة هي حاسة الذوق الفني التي سميت فيما بعد الحاسة السادسة وعملها الاستمتاع بالأشياء الجميلة.

2- الاتجاه العقلي: ويعدّ ليبنتز (Leibniz) وتلامذته المباشرون بين العقليين الذي أقاموا التمييز الجوهري بين الإحساس أو الإدراك الحسي للصفات الحسية، وبين الفكرة أو العرض العام.

---

[1] النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية: ص 31 – 32.

[2] جماعة من الأساتذة السوفيات: أسس علم الجمال الماركسي اللينيني،1978، تر: د. فؤاد مرعي، دار الفارابي، بيروت، ص 38.

فعندهم نجد الأبحاث الخاصة بالجميل والجديرة بالعناية، لذلك قيل إن ليبنتز هو أب الاستطيقا الحديثة بحق.

أما سلسلة الفلاسفة العقليين فتكون من ديكارت (Descartes) واسبينوزا (Spinoza) وليبنتز (Leibniz) وفلف (Wolff) على التوالي، يأتي بعد ذلك بومجارتن (Baumgarten) وكانط (Kant).[1]

أعلام علم الجمال :

ديكارت (Descartes) (1596 – 1650)، بوالو (Boileau) (1626 – 1711)، ليبنتز (Leibniz) (1646 – 1716)، ألكسندر بومجارتن (Alexander Baumgarten) (1714 – 1762)، كانط (Kant): يعد مؤسس علم الجمال في صورته العلمية، فريدريك شيلر (Friedrich Schiller) (1759 – 1805)، فيكو (Vico)، فرانسيس بيكون (Francis Bacon)، توماس كوي (Thomas Guy)، شافستبري (Shaftesbury) (1713)، ليسنغ (Lessing)، هيجل (Hegel) (1770 – 1831)، ليون تولستوي (Lev Tolstoy) (1828 – 1910)، أرنست كاسيرر (Ernst Cassirer) (1874 – 1945)، جان بول سارتر (Jean-Paul Sartre) (1905 – 1980)، جورج لوكاتش (Georg Lukács) (1885 – 1971). [2]

المفاهيم الجمالية:

المفاهيم الجمالية كما المفاهيم الفلسفية نقاط أساسية في تاريخ الفكر البشري وهي تعكس أهم صفات العالم أي الطبيعة والمجتمع البشري وعلاقاته، وعملية تطور هذه المفاهيم تعكس ممارسة الإنسان الاجتماعية.

إن المفاهيم الجمالية تمكننا من استيعاب العالم في أسسه الجوهرية وتمكننا من التأثير في الواقع، فهي انعكاس لجوانب العالم الجوهرية، وتمكن الإنسان من فصل نفسه عن الطبيعة والتعمق في معرفة العالم، ولا نستطيع أن نتصور الواقع ونتعرف عليه من دون مفاهيم.[3]

المفاهيم الجمالية: الجميل، الجليل، التراجيدي، الكوميدي.

هذه المفاهيم هي مفاهيم أساسية شاملة تعبر عن أهم العلاقات والصفات التي تتجلى في ظواهر العالم الواقعي، وهذه المفاهيم جميعها ذات طبيعة موضوعية لا تتوقف على إرادة الإنسان الذي يتعرف عليها وهي ليست نتاج الخيال وليست وليدة العقل الإنساني كما يزعم الكانتيون والنفعيّون وغيرهم.

---

[1] الأسس الجمالية في النقد الغربي: ص 53-54

[2] انظر: البيطار، يعقوب، علم الجمال، 2008 – 2009م، جامعة نشرين، سوريا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بين ص 71 – 123.

[3] الجمال والجلال، دراسة في المقولات الجمالية، ص 15.

لقد تكونت المفاهيم الجمالية في مجرى تطور التاريخ الإنساني على أسس ممارسة الناس الاجتماعية ونشاطهم الإنتاجي المادي فهي ليست أشكالاً للتفكير أزلية سابقة للتجربة ومستقلة عنها.[1]

القيم الجمالية:

القيم الجمالية: هي ليست سمة مطلقة أو شعوراً مباشراً وإنما هي صفة للموضوعات تتميز بأنها إمكان أو قدرة على إحداث تجارب لها قيمة باطنية، فالقيمة الجمالية سمة علائقية، وهذا التعريف يشير إلى التجربة الجمالية.

فالقيمة الجمالية هي واحدة من السمات التي تنتمي إلى شيء معين نتيجة لما يفعله هذا الشيء عند اتصاله بكائن عضوي بشري.[2]

كما تعرّف بأنَّها: "قدرة الشيء أو قوته على إحداث نوع معين من الاستجابة الجمالية في المشاهد القادرة على هذه الاستجابة".[3]

وأشهر هذه القيم هي: الجميل والقبيح، والعظيم والرائع، واللطيف والخلاب والجليل والهذلي.[4]

أما المقولات الجمالية هي: الجميل والجليل والكوميدي والتراجيدي والروحي والسامي والانسجام والمتحقق والمطلوب والمفقود والساخر والدرامي والحسي.[5]

وقد عرف نايف بلوز المقولات الجمالية بأنها القيم الأساسية التي تمثل أحجار الزاوية في البناء الجمالي.[6]

التجربة الجمالية:

التجربة الجمالية: هي قبل كل شيء تجربة نقبل فيها موضوعاً ونستمتع به دون أن نسأل أي سؤال، فنحن نتقبل الموضوع لذاته فحسب، ونحن لا نستخدمه أداة لأغراض عملية ولا نسعى إلى استخلاص معرفة منه، ولا نهتم بنتائجه من حيث الخير والشر بل إننا نقابل الموضوع بشروطه الخاصة.

وفي هذا نجد التجربة الجمالية أشبه بالحب وذلك على الأقل حتى المرحلة التي يصبح فيها الحب مثاراً للشكوى ومصدراً للمتاعب.[7]

قلنا في تعريف التجربة الجمالية أننا لا نسأل أسئلة ولكن من الواضح تماماً أننا نسأل بالفعل أسئلة عن الأعمال الفنية وغيرها من الموضوعات الجمالية بل ما أكثر ما نسأله وما أكثر كلامنا عن الفن.

---

[1] الجمال والجلال، دراسة في المقولات الجمالية، ص 16.
[2] النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية : ص 636.
[3] المصدر السابق نفسه: ص 65.
[4] المصدر السابق نفسه: ص 387.
[5] فلسفة الجمال: ص 135.
[6] بلوز، نايف، علم الجمال،1980م، المطبعة التعاونية، دمشق، ص 82.
[7] كليب، سعدالدين، المدخل إلى التجربة الجمالية، 2001، الهيئة العامة السورية للكتاب، سورية، ص42.

مفهوم الجمال عند هيجل[1]

قبل الخوض في بيان الجمال عند هيجل لابدّ من تعريف الجمال لغة واصطلاحا ثم تفصيل مفهوم الجمال عند هيجل.

الجمال في اللغة: جمل الشيء: إذا جمعه بعد تفرق، أجمل: أتأد واعتدل.

تجمّل: تزين.

الجمال: هو الحسن في الخَلق والخُلُق.

الجميلة: هي التامة الجسم.[2]

الجمال في الاصطلاح: هو ظاهرة ديناميكية متغيرة، لا يمكن لأحدنا أن يشعر بالجمال الشعور ذاته في لحظتين مختلفتين، وهو غير منفصل عن إدراكنا إياه وشعورنا به. إنه في تطوّره يختلف من شخص إلى آخر، ومن لحظة إلى تالية، إنه كهذه الحياة لا تتوقف، لا تلتفت إلا وراء، لا تكون هي هي في كل لحظة.

الجمال غير الحقيقة، كيلا نقضي على الفن السوريالي والتعكيبي والتجريدي وسائر الصور الخيالية. فالجمال غير الخير والفضيلة والصواب كيلا نمحو ما يتعلق بالفورة والشذوذ والانحراف والجنون وما يُبدع من فنون خالدة.[3]

---

[1] جيورج ويلهلم فريدريك (Georg Wilhelm Friedrich Hegel): فيلسوف ألماني، ولد في شوتغارت 1770م 1183 هـ، ودرس في مدينة مسقط رأسه وانتقل منها، بعد أن أتم دراسته إلى جامعة توبنغن البروتستانتية سنة 1788، تصادق فيها مع هولدرلين (Hölderlin) وشلينغ (Schelling) اللذين شاركهما الحماس الرومنطيقي. عمل مؤدباً في برن بين سنتي 1793و1796، ثم انتقل سنة 1797 إلى فرانكفورت وأقام فيها حتى سنة 1800، عيّن سنة 1805 أستاذاً محاضراً في جامعة إيينا وشهد عام 1806 معركة إيينا، ترك عام 1807 منصبه ليعمل رئيساً لتحرير مجلة غزيت دي بامبرغ حتى عام 1808 الذي انتقل خلاله إلى نرمبرغ. عمل أستاذاً في جامعة هايدلبرغ حتى سنة 1818 التي استدعي فيها ليحل مكان فشته في جامعة برلين، وتولى مهام هذا المنصب لفترة تخلّلتها أسفار إلى كل من البلاد المنخفضة سنة 1822، وإلى فيينا سنة 1824، وإلى باريس سنة 1827، واستمرّت حتى وفاته متأثراً بمرض الكوليرا عام 1831م- 1246هـ. من مؤلفاته:1. اختلاف مذهبي فشته وشلينغ الفلسفيين.2. الإيمان والمعرفة.3. فينومينولوجيا العقل.4. المنطق الكبير.5. موسوعة العلوم الفلسفية.6. فلسفة الحق.7. مبادئ فلسفة الحق.8. دروس في فلسفة التاريخ.9. روح المسيحية وقدرها، وهو مؤلف نشر بعد وفاة هيجل بترجمة فرنسية. انظر: الفا، روني إيلي، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، 1412هـ -1992م، ج2، ط1، مراجعة: جورج نخل، الكتب العلمية، بيروت، ص569-570.

[2] المصري، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، 1414ه، ط3، دار صادر، بيروت، ص 136.

[3] الفن والجمال: ص 50.

مفهوم الجمال عند هيجل:

هناك عدة مدارس ورواد تحدثت عن الجمال وحاولت تفسير مفهومه منطلقة من فلسفتها الخاصة، وسأقتصر في بحثي هذا عن مفهوم الجمال عند هيجل.

هيجل الذي تناول مفهوم الجمال من خلال فلسفة مثالية موضوعية جدلية.[1]

ومثالية هيجل تختلف عن مثالية أفلاطون (Eflatun) حيث يرى هيجل أن الجمال يقتصر على الفن وليس على الطبيعة؛ لأنه أرقى منها، وأن الجمال والفن جزء من البنى الفوقية، وهذه البنى الفوقية تظهر نتيجة تفاعل بنى تحتية كثيرة، وربط القيمة الجمالية بالأساس التاريخي، فقال لكل زمن قيمه الجمالية التي تختلف عن الأزمان الأخرى انطلاقاً من فكره وفلسفته الاشتراكية.[2]

رأى هيجل أن علم الجمال ما هو إلا فلسفة للفن، وتجسيد للفكر، وقد عبر عن آرائه هذه في كتابه (محاضرات في علم الجمال) ففلسفة الجمال لدى هيجل مشتقة من فلسفته الميتافيزيقية، وفي مقدور من اطلع عليها أن يتكهن بفلسفته في الجمال، فهيجل يستهل فلسفة الجمال من خلال فلسفته في الروح المطلقة التي تنشأ من التضاد ما بين المتناهي واللامتناهي، كمركب عن الفكرة في ذاتها والطبيعة في تخاريجها، فيدرك في هذا السبيل اللامتناهي، وما حقيقة الروح المتناهي هذه سوى الروح المطلق، فالروح المطلق هي تلك الكلمة والحقيقة العليا".

والجمال الفني هو موضوع للمتناهي، وهكذا يصبح جزءاً لا يتجزأ من هذه الجدلية التي تحدث بين المتناهي واللامتناهي ويتمخض عنها الروح المطلق.[3]

وهناك رابطة أخرى ما بين الجمال الفني والروح المطلقة، وهي رابطة الوعي بالحقيقة، فالجمال بالنظر إلى أنه نمط معين لتظهير الحقيقة وتمثيلها، يعرض نفسه من كل جانب للفكر المفهومي متى ما كان هذا الفكر يمتلك حقاً القدرة على صوغ المفاهيم.[4]

فجمال الفن من هنا يتلاقى مع الروح المطلقة بحكم اشتراكهما في دائرة الوعي بالحقيقة.

إذاً المقصود بالجمال عند هيجل هو الجمال الفني الذي تبدعه الروح الإنسانية وليس الجمال الطبيعية؛ لذلك فهو يرفض النزعة الطبيعة في الفن الذي تبغي تقليد الطبيعة أو تصويرها كما هي.[5]

الفن عنده هو أعلى أشكال الجمال، كما يجعل جمال الطبيعة خارج إطار جمالياته فيقول: "يبدو أننا محقون في افتراضاتنا أن جمال الفن هو أعلى من الطبيعة، فجمال الفن جمال مبدع، مولود جديد للعقل، وبمقدار ما يبدو أن الروح ونتاجه أعلى من الطبيعة وظواهرها كذلك يبدو الفن أعلى من جمال الطبيعة".

---

[1] فلسفة الفن والجمال عند هيجل، ص174.

[2] مطر، أميرة حلمي، فلسفة الجمال، 2003م، دار المعارف، القاهرة، ص 31 – 34.

[3] هيجل، المدخل إلى علم الجمال، 1978، ط1، ترجمة: جورج طرابيشي، ط1، دار الطليعة، بيروت، ص127.

[4] المصدر السابق نفسه، ص 164.

[5] مطر، أميرة حلمي، فلسفة هيجل الجمالية، 1984، ط1، دار الثقافة، مصر، القاهرة، ص 67.

والذي دفع هيجل إلى القول بأن جمال الفن أسمى من جمال الطبيعة هو أن الفن يساهم في إبراز الوعي الذاتي للروح المطلقة، لأنه التعين الحقيقي الفردي لها في الخارج من خلال تمثيلها تمثيلاً حسياً، فالفن من حيث هو موضوع للحقيقة هو الذي يعقل ويمثل الوجود بوصفه حقيقياً في توافقه مع مضمون متماسك المنطق اتجاه ذاته، وله بذاته قيمته الذاتية، فليس حقيقة الفن الصوابية المحضة البسيطة، وهو ما يقتصر عليه ما يسمى بمحاكاة الطبيعة، بل على الفن كما يكون حقيقياً بأن يحقق التوافق بين الداخل والخارج، يقول: "أما الفن فيرتفع بالكائنات الطبيعية والحسية إلى المستوى المثالي من الجوانب العرضية والمؤقتة، فالفن يرد الواقعي إلى المثالية، ويرتفع به إلى الروحانية، والفكرة إذا تشكلت تشكلاً دالاً على تصورها العقلي تتحول إلى مثال[1]، وهذا لا يتأتى للطبيعة لأنها عاجزة عن جعل هذه الحقيقة مدركة بموجودات جزئية بحكم خصوصياتها بالذات وجمودها.

وجمال الفن عنده هو تألق الروح وهو أكثر إشراقاً من جمال الطبيعة، فالفن عند هيجل تجسد الفكرة (المضمون الروحي) في المادة أو الشكل.[2]

كما أن جمال الفن عند هيجل هو جمال خالص يسمو على الأغراض والرغبات ويسمو على القوانين الأخلاقية، فهو أيضاً أشد رحابة وديمومة من أن يقيّد في مملكة الأخلاق.[3]

ولا يرى هيجل أن الفن خاو من كل دلالة أخلاقية ولكنه يرفض أن يكون هو الغاية النهائية للفن، كما لا يرى مانعاً أيضاً أن توجد الوصايا الأخلاقية في العمل الفني وبشكل ضمني، بشرط ألا تظهر فيه بصورة جلية، ولا تقدم لنا كواجب ينبغي العمل به.[4]

وإذا كان الجمال الفني هو أعلى وأسمى من الطبيعة فإنه أحد الأشكال الكلية للعقل، فالجمال في الفن يرجع أيضاً إلى اتحاد الفكرة بمظهرها الحسي.[5]

وبالتالي فإن موضوع علم الجمال عند هيجل هو موضوع فلسفي، تشكل فلسفته حلقة ضرورية في مجموع الفلسفة، لهذا لا يفهم علم الجمال إلا ضمن هذا المجموع الذي يمكننا من معرفة العالم باعتباره كلية عضوية مطورة وكل تساؤل حول مفهوم الجمال والفن هو تساؤل لا جواب له إلا من داخل نسق فلسفي شامل لأن الفن في رأي هيجل شكل من أشكال تجليات الروح.[6]

والنظر إلى الفكرة ذاتها يكون الحق، أو النظر إلى مظهرها الحسي يكون الجمال، وبالتالي يغدو الجميل عند هيجل حسب ما يقول ولتر ستيس (Walter Estes): هو معالجة بين المادة والإحساس من ناحية وبين العقل والروح من ناحية أخرى.

---

[1] المدخل إلى علم الجمال وفكرة الجمال، ص 252.

[2] المصدر نفسه: ص 125.

[3] المصدر نفسه: ص 53.

[4] فلسفة هيجل الجمالية: ص 89.

[5] التفصيل الجمالي، دراسة في سيكولوجية التذوق الفني، عالم المعرفة، العدد 267، 2001، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 18 – 29.

[6] علم الجمال في الفكر العربي القديم: ص 18.

إنه إشعاع الفكرة من خلال الموضوعات الحسية، فكل شيء جميل يمتلك جانبين: الفكرة وهي تتألف من مقولات هي عبارة عن تصورات خالصة غير حسية، وشكل حسي تكونه المادة الفيزيقية الخاصة بالموضوع الجميل.[1]

لقد اعتقد هيجل أنه توجد هناك صيرورة تاريخية ومنطقية في الوقت نفسه للمطلق على أن الفن ينخرط منها، وأن ينبثق من الطبيعة وما يمت له بالنسبة إليها من شيء مثالي يقول: "إنه كشف للمطلق تحت شكله الحدسي، وظهوره الخالص". فالجمال عند هيجل يعني الظهور المحسوس للفكرة، وباعتبارها كذلك فإنه يطلب العمل الفني، لذلك هيجل يرفض الجمال الطبيعي، لأن جمالية هيجل هي جمالية لفلسفة الفن أكثر من كونها نظرية للجميل، لأن الجمال في رأي هيجل هو الفكرة التي تعبر عن الوحدة المباشرة بين الذات والموضوع، وهذا الجمال لا يتحقق في أقصى درجاته إلا في الجمال الفني لأنه ينبع من الروح والإنسان، بينما الجمال الطبيعي هو أول صورة من صور الجمال لأنه الصورة الحسية الأولى التي تتجلى فيها الفكرة.[2]

كما أن الجمال الفني عند هيجل هو جمال متولد عن الروح، وبما أنه كذلك فهو ذو طبيعة إلهية، والفن المولود من الروح يستمد مادته من الموضوعي إلا أنه يقتطع المظهر الخارجي الذي يتراءى لنا كأنه واقع، ولكن ذلك لا يعني الاتكاء على الحسّ ومرجعياته كونها تسبب ضياعاً للذات، لذا يرى هيجل في تجاوز محدودية العالم الحسي وصولاً إلى الحقائق الكلية من خلال تجسيد الذاتية التي تستغرق بتأملها في صميم وجودها الذاتي، والجمال المطلق عنده يحتوي على الحدس بالذات لأن له صلة بالحقيقة الإلهية أو وعياً بالذات من حيث هي مطلقة.[3]

والجمال هو الأسلوب الوحيد والمحدد للتعبير عن الحقيقة الروحية المطلقة وتقديمها والتي هي غاية الفن، فالفن لا يعكس الواقع بل الروح المطلقة، والفن شأنه شأن الدين والفلسفة يخدم مسألة واحدة وهي بحث الروح المطلقة عن ذاتها ومن ثم العثور عليها.[4]

بعد أن بين لنا هيجل (فكرة الجمال) في الفن أخذ يرصدها في صنوف الفنون وأشكاله عبر التاريخ من هنا يربط فلسفة الجمال بفلسفة الروح والتاريخ معاً، فدرجة الجمال في الفن تعتمد على مدى تطابق المضمون مع الشكل وتعينات الفكرة في الواقع ثم تمامها في المثال كجوهر واحد، وعلى هذا الأساس صوّر هيجل أشكال هذه العلاقة التي تربط الروحي بالحسي في آصرة الفن في ثلاثة **أنماط للفن**، هي:

1. النمط الرمزي: (فن العمارة الشرقي): حيث تبقى الفكرة أسيرة الشكل الخارجي ويتجسد في الفن المصري القديم حيث (تسود المادة وتكون الفكرة ضئيلة).

2. النمط الكلاسيكي: (النحت اليوناني القديم): حيث تتكافئ الفكرة مع الشكل الخارجي ويتجسد في الفن اليوناني، (تتوازن الفكرة والمادة).

---

[1] ستيس، ولتر، معنى الجمال، نظرية في الاستطيقا، ط1، 2000، المجلس الأعلى للثقافة، ص 68 – 69.
[2] فكرة الجمال: هيجل، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ص 302.
[3] فلسفة هيجل الجمالية: ص 49.
[4] هيجل، فكرة الجمال، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ص 98.

3. النمط الرومانسي: (الرسم والشعر والموسيقا): حيث تتحرر الفكرة من الشكل الخارجي إذ يذاب الشكل المحسوس في الفكرة كما في الفن الوسيط (تتحكم الفكرة الروحية وتخضع المادة لأغراضها).

ومن هذا التصنيف لأنماط الفن يلاحظ سعي هيجل إلى تغليب النزعة اللاغائية في الفن بتفضيل الفكرة الروحية على الشكل الخارجي المحسوس فترتيب الفنون جاء على النحو التالي عمارة، نحت، تصوير، موسيقى، شعر.

كما يلاحظ أن هيجل صنف منزلة كل من الفنون حسب تحررها من إلزامات المادة، فاعتبر فن العمارة أبعد الفنون عن الجمال كونه عاجزاً عن التعبير الروحي تعبيراً مطابقاً بواسطة المادة الثقيلة التي تستخدمها كعنصر حسي، مما يضطرها انطلاقاً من الروح أن تعد الروح في وجوده العقلي والحسي محيطاً خارجياً يؤدي وظيفة ما[1]، ولأن الجمال الصادر عن العمارة لا يتصل بالروح الحرة قدر ما يتصل بالوظائفية التي تهبط بالجمال إلى مراتب دنيا، وبذلك تخدم القصدية النفعية الفانية لتغلب ثقالة المادة الحسية على الجمالية الناجمة عن الفكر والروح المطلق بحسب هيجل، وبالمقابل فإن فن النحت لا ينظر إلى الروح وهو موضوعه بالذات في مظهر شخص فرد أو في مظهر الداخلية الذاتية وإنما في مظهر الفردية الحرة غير القابلة للانفصال لا عن المضمون الجوهري للروح ولا عن تظاهره الجسماني، وبالفعل فإن الفرد لا يمكن أن يحتل مكانه من التمثل إلا بقدر ما يقتضي ذلك الإحياء الفردي لمضمون جوهري في ذاته، لذا فقد تعين على فن النحت أن يستخدم نظيراً للعمارة المادة الثقيلة، وفي الوقت عينه وخلافاً للعمارة أن يصوغ هذه المادة الثقيلة لا ليجعل منها محيطاً لا عضوياً صرفاً يتماشى مع قوانين الثقالة فيكون حاملاً ومحمولاً معاً، بل بغية تحويلها إلى مجال كلاسيكي مطابق للروح ولتشكيلة المثالية.[2]

وهذا هو هدف هيجل في معنى الجمال المتحقق في النشاط الإبداعي الذي يعتق النفس ويحررها من كل قمع وتحديد، على قاعدة أن الفن يملك القدرة على تلطيف الواقع المأساوي وتحويله بالتمثيل النظري إلى متعة.

إذاً الجمال عند هيجل هو فكرة تمثل أعلى درجات الحقيقة المطلقة، كما أنه الحقيقة ذاتها أو مظهر من مظاهرها.[3]

ومن الطبيعي أن تتجلى الروح المطلقة في فنون أكثر تجريدية من فن العمارة والنحت كما في فن الرسم والموسيقى والشعر؛ لأن جوهرها يتسم بالتجريد الروحي، فالرسم تصوير أرقى من النحت، لأن الفكرة فيه تتخطى الأبعاد الثلاثية الحسية، وتستبدل هذا بالظل والنور والألوان، وطالما أن الفن الرومانسي يعبر عن الحراك الذاتي للروح نجد أن الموسيقى والشعر أقرب تعبيراً عن جوهر هذه الروح، فالمادة الحسية التي تتشكل فيها الفكرة هي الصوت والنغم يجوبان الفضاء بكل حرية وانطلاق كأطياف نورانية ويلبسنا الجوارح الحسية من سماع ونظر فتحدث تجربة التلقي الجمالية.[4]

---

[1] إبراهيم، زكريا، هيجل والمثالية المطلقة، 1970، دار مصر للطباعة، القاهرة، ص 395.

[2] هيجل، فن الموسيقى، 1980، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ص 706.

[3] هيجل، فن الرسم، 1980، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطيعة، بيروت، ص 64.

[4] بسطاويسي، محمد رمضان، المنهج الجدلي عند هيجل، 1996، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ص 144 – 147.

ــ كما أن الجمال في رأي هيجل ليس تجريداً من تجريدات ملكة الفهم وإنما هو في ذاته العيني، وأن الفن يسمو على الروح المتناهية ويترتب على ذلك أن الفن لا يتفق مع مضمار المنطق ؛ لأن الجمال الفني لو كان له صفة منطقية ما اكتسب الفن هذه المكانة من التمايز ومخاطبة مستويات مختلفة في الإنسان، لذلك يؤكد أن الجمال الفني لا وجود له في الطبيعة، وهي الواقع العيني للفكر، وهو ليس ذا صفة منطقية.[1]

إذاً بلغ علم الجمال الكلاسيكي قمته في نظام هيجل الفلسفي، وقد سلك في عرضه لمذهبه الجمالي مسلكاً ميتافيزيقياً، إذ بدأ بحثه في الفكرة وفي المثال، وبعد أن بسط نظريته وضع ما يشبه تاريخاً للفن، وذلك في نظرية الأنماط الرئيسة التي فسر بها تطور الفن عبر الحضارات الإنسانية، محاضراته في علم الجمال تمثل فلسفة الفنون الجميلة، وكشفت عن إلمامه الواسع وحسه المرهف في تذوق الفنون، كما تناول الفن بالدراسة، وأكد في أبحاثه مهمة الفن في التعبير عن الروح المطلقة، كما وضح أيضاً مهمة الدين والفلسفة في عملية التعبير هذه، وأكد بكل وضوح ارتباط الفن والدين والفلسفة، حين نظر إليها جميعاً على أنها مظهر للروح المطلق، فأعلن أن هذه الروح تقي نفسها من خلال هذه النظم الفكرية الثلاثة.[2]

فرؤية هيجل للفن لا تنفصل عن فلسفته العامة، بل إنه يكرر فيه كثيراً من آرائه في المنطق والروح والتاريخ والحضارة، إذ ربط حديثه في الفن بأفكاره وآرائه الفلسفية خاصة في فلسفة الروح وفلسفة التاريخ لأنه يربط الفن بالحقيقة.

ــ علم الجمال عند هيجل بدأ فلسفة للجميل في الفن، ونظرية جدلية موضوعية مثالية في الجمال، وموضوع الجمال عنده مسألة الجميل في الفن وفي إبداع الفنان.

كما يعتقد هيجل أن علاقة الإنسان بالجمال علاقة تأملية مجردة وغير عملية.[3]

ويرى أن الجميل في الواقع هو الحياة المتجلية في ثلاثة أشكال: الجسم الحيواني والجسم الإنساني، وجسم العالم الروحي (الأسرة، الدولة).

ويؤكد هيجل أن الجميل في الطبيعة محدود ومنته، وهو لذلك شكل لتجسيد الفكرة غير متكافئ معها، لأن الفكرة لا متناهية، وطليقة في داخل ذاتها.

ويقسم هيجل الجميل إلى ثلاثة أقسام، ويؤكد على أهمية المثل الأعلى بالنسبة إلى الجميل في الفن: "يشغل المرتبة الأولى مفهوم الجميل عموماً، ويشغل الثانية الجميل في الطبيعة الذي تظهر لنا عيوبه ضرورة المثل الأعلى وهو الجميل في الفن والموضوع الذي يعالج المرتبة الثالثة هو المثل الأعلى الذي يتم تحقيقه كتجسيد فني في العمل الفني.

الجميل في رأي هيجل تعبير حسي عن الفكرة في شكل المفرد، ويسمي هيجل الفكرة المتجلية بالشكل المتميز خيراً، والفكرة المتجلية بالشكل الشامل حقيقة، ولكن شكل المفرد بحسب هيجل يمكن أن يكون على وجهين وبالتالي يكون للجميل وجهان (جميل في الطبيعة) و(جميل في الفن).

إن المحتوى في الحالتين هو فكرة الجميل، ولكن ازدواجية الشكل تسبب اختلافاً مهماً في المحتوى نفسه الذي يتجلى في هذا الشكل أو ذاك.

---

[1] بسطاويسي، محمد رمضان، الجميل ونظريات الفنون، 1995، ط1، مؤسسة اليمامة، الرياض، ص 15 – 16.

[2] مطر، أميرة حلمي، فلسفة الجمال: ص 146.

[3] الجمال والجلال، دراسة في المقولات الجمالية: ص 60.

ويعتقد هيجل أن الجمال في الواقع غير ثابت وغير منسجم وفظ ومادي لذا فهو دون الجمال في الفن يقول: "الجمال في الفن هو جمال ولدته الفكرة ثم عادت تلده من جديد وبمقدار ما تسمو الفكرة ومنتوجها عن الجمال في الفن يسمو الجمال في الفن فوق الجمال في الطبيعة".[1]

ويعد هيجل العالم انعكاساً للفكرة المطلقة ولذا فإن معرفة العالم هي تعرّف الفكرة المطلقة على ذاتها، وتمر المعرفة بمرحلتين: المرحلة الدنيا وهي مرحلة انعكاس الفكرة فنياً، والمرحلة العليا وهي الوعي الديني والفلسفي، ومفهوم الجمال عند هيجل يتراجع إلى المرتبة الثانية مفسحاً المجال الأول لمفهوم الحقيقي.

ويقول هيجل إن الفكرة يمكن أن تتجلى منقوصة في موضوع ما بينما تتجلى كاملة فيه الفكرة على أتم وجه، التفكير في رأي هيجل ينفي الجميل فكلما تعمق الإنسان في التفكير قلت حاجته إلى الجميل ويرى أن الفكر يقتل في الإنسان مفهوم الجمال وسيختفي مفهوم الجميل مع تطور الوعي لأن الوعي يتعامل مع الحقيقة أما الفن فيتعامل مع الجمال، والفن هو مجال الجميل عند هيجل.

إن مهمة الفن إرضاء سعي الإنسان نحو الجمال المطلق الكامل، وجوهر الفن هو فكرة الجمال.

حاول هيجل أن يفسر الجمال في الطبيعة باعتباره لحظة من لحظات تطور الفكرة إذ الجمال في الطبيعة يسبق الجمال في الفن ولكن الجمال في الطبيعة في رأيه كما قلنا أدنى من الجمال في الفن، ويحاول هيجل الخروج من هذا التناقض عن طريق البرهان على أن الجمال في الفن هو وحده القادر على الوجود كفكرة.

يقول هيجل إن الجمال هو الكائن الذي يعبر تعبيراً كاملاً عن فكرة ذلك الكائن أي ما معناه باللغة البسيطة الجمال هو المتفوق في نوعه.

كما أن الجمال في رأيه أدنى من الفكرة؛ لأن الفكرة مجردة والجمال محسوس وكلما ازداد الإنسان قرباً من الفكرة المطلقة قلّت حاجته إلى الشعور بالجميل.[2]

فالعنصر العقلاني في نظرية الجمال عند هيجل هو إقراره بروحية الجمال في الطبيعة والفن. إذاً اعتمد هيجل في فهمه للجمال على النمط المثالي الموضوعي فالجميل هو تجلي الروح أو الفكرة المطلقة في الأشياء والظواهر الحسية.[3]

أما مفهوم الفن عنده فهو الإدراك الحسي الذي تتعرف به الروح المطلقة إلى المثل الأعلى للجمال، فالفن كالدين والتاريخ كل ذلك لنشدان المطلق، والجميل هو مظهر لتجلي الفكرة في المحسوس، وفي الفن تنتصر الفكرة على المادة لأنها تستخدمها لأغراضها، على أن الجمال يتم تكوينه باثنين المادة والصورة (الفكرة).[4]

وكل نشاط جمالي عند هيجل هو طريق إلى الحرية فيه تكشف الروح بوسائل الحسن عن حقيقتها، هذا الكشف الماثل في علم الجمال الذي هو فلسفة الفن، وما الفنان إلا فيلسوف جمالي يصوغ الواقع ليطابق المثل الأعلى.[5]

إن مسألة الحيوية هي الفاصل عند هيجل في مشكلة الجمال والقبح، وهو يقيمها على أساس من طبيعة الموجودات، فالجمادات وهي أول صورة للكائنات يكون جمالها أقل نسبياً من الكائنات

---

[1] المصدر نفسه: ص 62-63.
[2] الجمال والجلال، دراسة في المقولات الجمالية: ص 64-69.
[3] المصدر السابق نفسه: ص 74.
[4] الفن والجمال: ص 61.
[5] المصدر نفسه: ص 63.

التي تتمتع بلون من الحياة أعظم وهي النباتات، وهذه بدورها يقل جمالها نسبياً عن الحيوانات من حيث هي أكثر حيوية، ثم يأتي الإنسان وهو يتمتع بأكبر قدر ممكن من الحياة فيكون بذلك أجمل المخلوقات.
فجمال الأشياء عند هيجل نسبي وجميعها صالح لأن يكون مادة للعمل الفني.[1]

الخاتمة:

يتضح بعد استقرائنا لمفهوم الجمال وتاريخ علم الجمال نتيجة مفادها أن علم الجمال نشأ وترعرع في أحضان الفلسفة ليتطور بعد ذلك عبر مراحل وعصور ليقصد به البحث عن القوانين الضابطة لعملية الإنتاج الفني وتحديد موضوع هذا الإنتاج، وقد استقلّ هذا العلم بموضوعه وقوانينه مع كانط الذي غير الإنتاج الفني عن غيره بواسطة الحرية المنطلقة من أسس العقل، أما هيجل فيعتبر الجمال موضوعاً مثيراً للإعجاب خالياً من المنفعة الذاتية.
وقد تراوح البحث في الجمال بين تصوره مفهوماً عقلياً وأثراً انفعالياً حسيّاً متأثراً بالذوق الشخصي. ونتيجة لهذا التنوع في الآراء الجمالية اكتسب علم الجمال قوة للاستمرار وتحضير إنسان المستقبل الواعي الذي يبدع في آثاره الفنية الخالدة.
كما أن دراسة علم الجمال يمكن أن تنطوي على إثارة بالغة بالنسبة إلى المثابرين على البحث والتنقيب والمتمسكين بالروح النقدية.

[1] الأسس الجمالية في النقد الغربي: ص 215.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم، زكريا، هيجل والمثالية المطلقة، 1970، دار مصر للطباعة، القاهرة.
2. إسماعيل، عز الدين، الأسس الجمالية في النقد الغربي (عرض وتفسير ومقارنة)، 1974، ط3، دار الفكر العربي.
3. الفا، روني إيلي، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، 1412ه-1992م، ط1، مراجعة: جورج نخل، الكتب العلمية، بيروت.
4. بدوي، عبد الرحمن، فلسفة الفن والجمال عند هيجل، 1996م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
5. برجاوي، عبد الرؤوف، فصول في علم الجمال، دار الآفاق، لبنان، بيروت.
6. بسطاويسي، محمد رمضان، الجميل ونظريات الفنون، ط1،مؤسسة اليمامة، الرياض.
7. بسطاويسي، محمد رمضان، المنهج الجدلي عند هيجل، 1996، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
8. بلوز، نايف، علم الجمال،1980م، المطبعة التعاونية، دمشق.
9. البيطار، يعقوب، علم الجمال، 2008 – 2009م، جامعة تشرين، سوريا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
10. جماعة من الأساتذة السوفيات: أسس علم الجمال الماركسياللينيني، 1978، ترجمة: د. فؤاد مرعي، دار الفارابي، بيروت.
11. الديدي، عبد الفتاح، علم الجمال، 1981، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، القاهرة.
12. ستولنيتز، جيروم، النقد الفني (دراسة جمالية وفلسفية)، 1981م، ط2، ترجمة: فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
13. ستيس، ولتر، معنى الجمال، نظرية في الاستطيقا، ط1، 2000، المجلس الأعلى للثقافة.
14. شلق، علي، الفن والجمال، 1402هـ- 1982م، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع الجامعي.
15. عبده، مصطفى، فلسفة الجمال، 1999، ط2، مكتبة مدبولي.
16. كليب، سعد الدين، المدخل إلى التجربة الجمالية، 2001، الهيئة العامة السورية للكتاب، سورية.
17. مجاهد، عبد المنعم، دراسات في علم الجمال، 1980، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
18. التفصيل الجمالي، دراسة في سيكولوجية التذوق الفني، عالم المعرفة، العدد 267، 2001، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
19. مرعي، فؤاد، الجمال والجلال، دراسة في المقولات الجمالية، 1991م، دار طلاس، دمشق.
20. المصري، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، 1414هـ، ط3، دار صادر، بيروت.
21. مطر، أميرة حلمي، فلسفة الجمال، 2003م، دار المعارف، القاهرة.
22. مطر، أميرة حلمي، فلسفة هيجل الجمالية، 1984، ط1، دار الثقافة، مصر، القاهرة.

23. المعزوز، محمد، علم الجمال في الفكر العربي القديم، 2003، ط1، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط.
24. هيجل، فن الرسم، 1980، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطيعة، بيروت.
25. هيجل، فكرة الجمال، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت.
26. هيجل، المدخل إلى علم الجمال، 1978، ط1، ترجمة: جورج طرابيشي، ط1، دار الطليعة، بيروت.
27. هيجل، فن الموسيقى،1980، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت.